

مكاور...
يقظة سالومي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠١٦/١٢/٥٦٩٢

٨١٢,٩

أبو حمدان، جمال توفيق
مكاور / يقظة سالومي؛ جمال توفيق أبو حمدان.. عمان : دار أزمنة
للنشر والتوزيع، ٢٠١٦
(٧٧) ص.

ر.ا. ٢٠١٦/١٢/٥٦٩٢

الواصفات : المسرحيات العربية // العصر الحديث /

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف
عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9957-09-682-3 (ردمك)

مكاور .. يقظة سالومي

جمال توفيق أبو حمدان (كاتب من الأردن)

الطبعة الأولى : 2017

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©



أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5522544

ص.ب: 950252 عمان 11195

شارع الشريف ناصر بن جميل ، عمارة 55 (الدوحة) ، ط4

info@azminah.net info@azminah.com

Website: http://www.azminah.com

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة

تصميم الغلاف : أزمنة (إلياس فركوح)

لوحة الغلاف : Gustave Moreau (فرنسا)

التنضيد والإخراج الداخلي : أزمنة (نسرین العجو)

تاريخ الصدور : آذار/ مارس 2017

جمال أبو حمدان

مكاور... يقظة سالومي

خلفية

على قمة جبل مكاور المطل على البحر الميت، وعلى نهر الأردن، كان يقوم قصر هيرودس، وقلعة ماخيروس.. وفي القلعة والقصر، سُجن يوحنا المعمدان (القديس الزاهد في المسيحية) يحيى بن زكريا (النبي في الإسلام)، ثم أمر الملك هيرودس، بتحريض من هيروديا، وبطلب من سالومي، بقطع رأسه.. لترقص سالومي رقصتها الشهيرة في التاريخ..

كان هيرودس الملك، قد وقع في غواية هيروديا، أرملة أخيه فيليب، وكان يتشهى جسد ابنتها سالومي، الراقصة المثيرة.

وكان يوحنا يطوف في برية الأردن، بفقره وجوعه، وزهده، يبشر بمجيء المسيح عيسى بن مريم، ويذم مُلك هيرودس الفاسد، ويلعن علاقته الشائنة بهيروديا.

وعندما ظهر المسيح، قام يوحنا بتعميده في نهر الأردن، فعُرف بالمعمدان.. وواصل ذم وهجاء هيرودس، وهيروديا، وعلاقتهم الآثمة، مما أثار عليه سخط هيروديا وحقدّها، وتحريضها لهيرودس، بأن يسجنه ويقتله، إلا أن هيرودس كان يخشى قتل يوحنا، فاكتفى بسجنه في قبو قلعة ماخيروس، وتعذيبه.

سالومي الفتاة اليانعة، الفائزة العواطف، سمعت عن يوحنا.. وكانت تراه.. فعلق في نفسها انجذاباً إليه.. في الوقت التي كانت فيه محط شهوة هيرودس.

وعندما تمكّنت من أن تصل إليه في سجنه، راودته، وعرضت عليه حبها، وجسدها.. إلا أنه أعرض عنها وصدها عنه، مما ولّد في نفسها مشاعر مختلطة من الحب والبغض.

وفي عيد ميلاد هيرودس، وأمام المحتفلين به، طلب هيرودس من

سالومي أن ترقص له، وكانت على نفور منه، وبتحريض من أمها هيروديا، وتلاعب بعواطف سالومي، اشترطت سالومي لرقصتها أن يلبي لها هيرودس ما تطلب.. عرض عليها نصف مملكته، ونصف كنوزهم.. إلا أنها رفضت وطلبت رأس يوحنا المعمدان، على طبق من فضة، لكي ترقص..

ارتعد هيرودس لهذا الطلب، لكنه وافق بعد أن أقسم أمام المحتفلين معه.

وهكذا قُتل يوحنا المعمدان، وجيء برأسه على طبق من فضة، فرقصت سالومي رقصتها التي أصبحت أشهر رقصة في التاريخ..

ثم انهار بعد ذلك مُلك هيرودس، في عصف التاريخ وأحداثه، ولم يبق على قمة جبل مكاور، إلا بعض آثار وأطلال من مُلك هيرودس وهيروديا.. وذكرى رقصة سالومي في الليلة التاريخية الفاجعة..

في هذه القصيدة المسرحية، أو المونودراما الشعرية، استحضار لتلك الواقعة المفجعة، وإيقاظ لسالومي بين أنقاض وطلول مكاور.. والتاريخ.. ومحاولة للكشف عن مخبوء، أو مضمّر ضمير سالومي.. تجاه ما حدث.

المشهد العام

(تستخدم شاشة عرض في صدر المسرح، تتغير عليها المشاهد من خلال عرض لوحات واسعة كخلفية للأحداث).

تتحرك سالومي على الخشبة أمام اللوحات المعروضة في فضاء خالٍ من الديكور والأثاث.

على أرضية المسرح، أشياء مبعثرة من بقايا زمن هيرودس وسالومي، مطروحة أرضاً في حالة فوضى، تستخدمها سالومي أثناء سير المسرحية، منها:

الطبق الفضي، سيف، قيود وسلاسل، تاج هيرودس، وصولجانه، سوط السجان، خلخال سالومي، وأدوات زيتتها، وبعض أثوابها، زجاجات عطر.. وأشياء أخرى من زمنها.. وكلها معفرة بالغبار).

مشهد 1

(على الشاشة الآثار على قمة جبل مكاور)
تدخل سالومي متعبة متهاوية مشعثة ولاهثة، وتنهدُ أرضاً بين
الآثار الخربة وكأنها جزء منها).
(يُسمع صوت عميق من بعيد عبر الأفق)

الصوت - مالت الشمسُ على كَتِفِ المغيّبِ
أَيَقِظَتْ في النفسِ تذكِراً
وفي القلبِ وجيبٌ
كان في التذكِارِ أفرّاحٌ
وفي التذكِارِ أترّاحٌ
وفي التذكِارِ
أشواقُ الزمانِ الأزليّةِ
فيه أحلامٌ عصيّةٌ
لم يحقّقها النهارُ
في مكاورُ

(مع كلمة مكاور، تنهض سالومي كأنها تستفيق، وتكمل متحركة في المكان، كأنها تُبعث بين الآثار).

سالومي - يا مكاور

ليلتي كانت عقيمة

لم تلد أيَّ نهار

فانجلي التذكُّر

عن ألفِ ظلام وظلام

دون أن يأتي أجلاً

ما الذي أبقت على سفح الجبل

غير مجرى للدم الراعف

في قلب الصخور النادرة

آه.. يا شمس الزمان الغاربة،

للممي ظلي عن الأرض

ولا تبقي أثر

من ليالي القهر، والعهر

ونزوات البشر..

(تدير نظرها في المكان)

يا مكان اللامكان

في مكاور

(تلتقط خلخالها وتتأمله)

لم تزل منك

على خلخالِ سالومي

بقايا من دماءِ المعداد

كيف أبقاها زمانُ اللازمان

فانحنت قمةُ الجبلِ المكابرِ

تحت قطراتِ الدماءِ!

(تسقط الخلخال من يدها وتدير نظرها في المكان)

وعلى الهامةِ

أشبأح طلول

ليس فيها غيرَ أصداءِ تعول؛

كلُّ مجدٍ لم يُعمد للبقاء

هو رهنٌ للأفول.

(تتحرك إلى زاوية تجلس فيها)

لم يكن ذاك الزمان

غيرَ ومضٍ راوِغٍ الأحلامَ
حتى الانكسارِ
فغفونا، وأفقنا
فإذا كلُّ الزمانِ
ومضٍ وهمٍ خاطفٍ
وإذا الدنيا هباءً، واندثارُ.

(تنهض)

هل يصيرُ الدَّمُ ماءً؟!
كيف صار الماءُ في المغطسِ
نهرًا من دماءٍ،
صاعدًا نحوَ مكاورِ
حاملاً ظلَّ الفجيعةِ
لاغتراب الأرضِ عن وعدِ السماءِ

(تصمت لحظة، ثم تتنهد بحرقة)

ليلةً

بالفتنةِ العمياءِ
سادتْ عتمَ أزمنةٍ مريئةٍ

حتى أنهى السيفُ قصتها
لترويتها الدماءُ

(تعاود الجلوس كاسفة مطرقة)

(عتم)

مشهد 2

(على الشاشة حجرة سالومي. تتحرك في الحجرة بين انطلاق وتردد، وهي تتخيل أنها تتزين)

زَيْنُونِي
عَطَّرُونِي
مَطْفَأُ قَلْبِي
وفي جسدي يضجُّ المهرجانُ
ليلةٌ فيها انطوتْ
كلُّ الليالي
وانطوى في زمني كلُّ الزمانِ

(ترفع المرأة، وتنظر إلى وجهها فيها)

قالتُ المرأةُ
إني فاتنةٌ
ردَّتْ الأقدارُ

لا تُصغي لوهم في المرايا
فالليالي خائنةٌ

(تبعد المرأة)

كلُّ فتنةٍ ستزولُ
فانهلي متعةَ يومك
قبلَ أن يأتي الذبولُ
ولتضيءِ نجمةُ حسنك
قبلَ ميعادِ الأفولِ..

(تضع المرأة، وتنحني على أحد الأثواب)

نضجتُ على الأغصانِ
فاكهةُ الجسدِ
إنما القلبُ معلقُ
يتشوّقُ
لحيبٍ لا أراه.
آه يا قلبي
من الحبِّ، ومن وهمِ الغرامِ

(تنفعل)

كلما جسدي يفوز
لمَ يا قلبُ تنورُ!
هل أنا جسدٌ مباحٌ
إنما الحبُّ حرامٌ!

(تبقى لحظة واجمة، ثم تعاود حيويتها. تلتقط عقداً)

زينوا عنقي بعقدٍ من نجومٍ
اغسلوا نهدي بنكتار الكروم

(ترمي العقد، وتتناول زجاجة عطر)

وانثروا فوقِي فتيتَ المسكِ
صُبُّوا كلَّ ما في الحقِّ
من أغلى الطيوبِ..

(ترفع الخلخال، وتحركه ليصدر صوتاً)

كلُّ قلبٍ
صار يحبو عندَ خلخالي
وعلى رنته سوف يذوبُ..

(تسقط الخلخال)

ليلةٌ للرقصِ والرجسِ

يموت الطهرُ فيها
وبها تحيا الذنوبُ.

(تجلس كاسفة)

هل يضيءُ الليلُ نجمي
مفزَعٌ يا ليلُ حلمي
قمرٌ قلبي..
وآه حين تخنقه الغيومُ.

(تحني رأسها على كتفها)

(عتم)

(في العتم يسمع صوت سلاسل تُجر، وصوت لسع سياط، وأبواب
حديد. أصوات مختلطة توحى بأجواء السجن)

(إضاءة)

(تهب سالومي مذعورة في حجرتها، وتوجه كلامها إلى من تتخيل أنه
جاءها بالخبر)

ماذا يا هذا تقول؟!

أحضروا الصارخَ في بريةِ الربِّ
إلى السجنِ مكبَّلاً بالسلاسلِ..

قيدوه

عذبوه

(تكلم نفسها)

أي هيرودس..

يا لهذا المَلِكِ اللاهِي

بتاج فوقَ رأسِه

بعدَ أن ناءَ على العرشِ برجسِه

كيفَ يلهو بالمصائر!

أم تُراه، كيدُ أُمي

أَرَقَّتْ ليلَ مكاور

وهي تلهو بالمساخر

إيه يا زمنَ المهازل

ما تُراك الآنَ فاعلٌ

بالمبشِّر بالحياة

خارجاً من وقية الكتمان

بالجهر، ليلعنَ مُلكَ هيرودس

مكرَ هيروديا

وآفاتِ الزمان

صادعاً عرشَ الطغاة..
أُترانا كلُّنا في وهج عينيه
بغايا وخطاه
أم تُراها صرخةً جوفاء
يمحوها الأجل..
أم نداءً للحياة
قد تُردّد في الغدِ الدنيا صداه

(تغرق في حالة من التذكر)

كنتُ ألمحه
فلا أدري
أظلُّ عابرٌ، مرَّ
أم مرَّ بنا ومضُ ضياءُ!
لستُ أدري
أهو بُشرى بالخلود
أم هو ظلُّ الفناء

(تصمت لحظة ثم تكمل)

ما سرُّ قوته!
أسمائه، أم جُوعه!

أَمْ هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي تَرَدَّدَ
فِي صَدَى صِرْخَتِهِ
مِنْ أُنَّةِ الْأَرْضِ الْوَجِيعَةِ
وَابْتِهَالَاتِ السَّمَاءِ.

مَاذَا يَرِيدُ؟!
أَيُرِيدُ مُلْكًا
أَيُرِيدُ مَالًا
أَمْ تُرَى يُغْوِيهِ وَهْجُ أَجْسَادِ النِّسَاءِ
هَذَا الَّذِي افْتَرَشَ الْبِيدَاءَ
وَالْتَحَفَ السَّمَاءَ
خَالِعًا زَيْفَ دُنْيَانَا الْغُرُورَ
وَتَدَثَرَ بِالْعِرَاءِ!

(تتغير لهجتها إلى الغضب)

كَيْفُ تُرَى
صِرْخَةُ التَّحْذِيرِ وَالتَّبْشِيرِ
فِي قَيْدِ السَّجُونِ
وَعَذَابِ الْإِنْتِقَامِ
كَيْفُ تَحْبَسُ كَلِمَاتُ النُّورِ

في صمت الظلام!
أيها الزمن العصي
أترى التجويعَ
والترهيبَ، والترويعَ
تحني هامة الحق
على قدم العتي!
كيف يقصي العمرَ
في عتم السجونَ
من تعمدَ بالضياءَ
وارتدى رحبَ الفضاء..

(تهب فزعة)

أم تُرى يُقتلُ مغلولاً
ليشفي غلةً
في صدرِ هيروديا، تمور..

(تصرخ منفعة)

إيه يا عتم السجونَ
آه.. من عتم القصور.

(تجلس كاسفة حزينة)

(فجأة تهب متحفزة)

سوف أمضي لأراه
ومعي شغفُ القلب المعنى بالسؤال.

(يبدو عليها الارتباك)

أُتراه

يكسر القلبُ بردً
مثلَ حدِ السيفِ قاطعُ
أم يراوغُ بالجوابِ
ويدعني بينَ قبضِ الريحِ
أو شربِ السرابِ!
أُتري يُوقظُ جرحه الراحفُ
في صدري جراحاً غائرةً!
قلبي الواجفُ
يطفئ فوقَ روحي الحائرة
إنما في النفسِ تَريدُ نداءً
إن يليه الجسدُ
سوف أمضي لأراه..

ربما أسمع في صوتهِ ترنيمَ الفرخِ
ربما ألح في عينيه أقواسَ قُزحٍ..
ما الذي يحملُ منا
ولنا

هذا اللقاء
أشقاءً وبلاءً
أم تُرى فيه شفاءً
للجراحِ الموجهةً..
أم تُرى وَحَدَ ضدينا
عماءُ الفاجعة!

آه.. يا كأسَ الليالي المترعة
بقيتُ منك ثُمالةً
فادخرها للتي تتعلق بالرياحِ
في انتظارِ الزوبعة.

(تتحرك خارجة باندفاع)

(عتم)

مشهد 3

(على الشاشة ما يوحى بأنه قبو السجن. تظهر سالومي
داخلة إليه، تقف أمام ما تتخيل أنه يوحنا المعمدان سجيناً..
تكلمه بلهفة وتوتر وارتباك).

اجتزتُ إليك

حديدَ السجن، حرابَ الجندِ

راوغتُ السجنانَ

ودستُ على أمرِ السلطانِ.

فهيتَ إليك

وهيتَ إليّ

لا أدري ما في

نفسي منك

وما في نفسك مني

لكني

بين يديك

وأنت الآن بين يديّ.

كنتَ في البعد تلوحُ

تلهثُ الأشواقُ

في إثر خطاكُ

فأياسُ من لقاءكُ

أترى أحمدُ

للمطاغي هيرودسُ

ولأحقادِ هيروديا

أن تراني

وأراك!

أترى هذا اللقاء

يروني نفسي الظامّة

أم تُراك

تثخنُ القلبُ جروحُ

أتراني جسداً

من دونِ روحِ

هجرْتُ قيدَ الجسدِ

فكلانا

جبلَةُ الطين
ونفثُ الروح
منذُ بدءِ الخلقِ
نبقى للأبدُ.
ها أنا الآن أراكُ
وعلى مرمى يديّ
مثلما كنتُ على البعدِ
أراكُ
تأتي في حلمي العصيّ
أيها الطيفُ البهيّ
وتروحُ.
آه ما أبهاكُ
ما أشهاكُ
هذا الومضُ في العينين
آه، لاختلاجِ الشفتينِ..
وأرى القامةَ تعلو
وأرى الهامةَ
تشرقُ

فوقَ عِتمِ السجِنِ
فوقَ أغلالِ السلاسلِ
والقيودِ
وصراخِ السوطِ
في هذي القروحِ..
كل ما فيكَ
وإن تكتمه
يجهر الآنَ أمامي
ويبوحُ.

(تصمت لحظة وهي تحدّق فيه ثم تكمل)
إن كنتَ الصوتَ الصارخَ
في البريةِ
أعدّوا طريقَ الربِّ
وأضيئوا عِتمَ الدنيا بنورِ القلبِ
وطهرِ الحبَّ.
إن كنتَ الصوتَ الصارخَ في البريةِ
أن البرية
فتحتْ دربَ القلبِ

لمجيء الأخيَّارِ..
وشاء الربُّ لها
أن ينأى عن وجه الأرضِ
الأشرارُ..
فستصرخُ
حتى يبتلع الصوتُ صداهُ
ويذوبُ صدى صوتك
في الصمتِ..
فهذي البريةُ صماءُ
لا يُسمع فيها
إلا صوتُ الأشرارِ
فالشرُّ الطاعِي
سيدُّ دنيانا
القَهَّارُ
وأني أسمعُ في صوتك
ندهةَ موتك.

(تصمت، ثم تكمل كأنها لنفسها)

آه

يا زمنَ الذهولُ
لستُ عَرَافَةً أَيامي
ولكنني أردد ما تقولُ؛
قد نموتُ
قبلَ أن يُشرقَ في العتمِ
محياءُ
ولكن أترانا
سوفَ نحيا
إن أطلَّ!
خشبُ المهدِ سيورقُ
ثم يسري دمه الراعفُ
في نسغِ الصليبِ
غاسلاً كلَّ الخطايا
بدموعٍ من أساه..
سوفَ يأتي
غاسلاً بالحبِّ
آثامَ الخطاه
ظفرت أيدي الطغاة

تاجِ شوكٍ
ليرصع من دماه..
سوف يأتي..
قدمٌ فوقَ المياه
هامةٌ فوقَ الغمامِ
غاسلاً عن وجهِ دنيانا القتامِ
هازماً بالحبِّ سلطانَ الظلامِ
حاملاً معه السلامِ
ليرى العالمَ يصحو بترانيم الحياةِ
وعلى هدهدةِ الحبِّ ينامُ
ثم يمضي في طريقِ الجُلجلةِ
آه يا ليل الخطايا القاتلةِ
أيُّ فجرٍ سوف يأتي
بعد أن يمضي
فهل يذكرُّنا
فجرٌ على هامتهِ رشقُ دماءٍ!

(تعاود الحديث مع يوحنا باندفاع)
إن كنتَ المعلمُ، علِّمني

إِنْ كُنْتَ الْهَادِي، اهْدِنِي
إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا، بَشِّرْنِي
بِحَيَاةٍ أُخْرَى تَحْيِينِي..
أَمْ أَنْكَ رَجُلٌ بَشَعٌ حَلَوٌ بَشَعٌ
حَلَوٌ حَلَوٌ
يَسْتَعْصِي عَلَيَّ فَيَغْوِينِي
وَتَضْجُ عُرُوقِي بِالرَّغْبَةِ
حَتَّى أَفْقِدَ كُلَّ يَقِينِي..
كَلِمَنِي
صَمْتُكَ يَكْوِينِي
أَوْ إِفْرَجُ شَفَتَيْكَ
وَقَبِّلْنِي
كِي تُولَدَ مِنْ هَذِي اللَّحْظَةِ
كُلَّ سَنِينِي..
لَا تَغْمُضْ عَيْنَيْكَ
وَتُطْبِقَ شَفَتَيْكَ
وَتَكْبِلَ عَنِ الْمَسِي الْكَفِينِ..
أَنَا كَأْسٌ مَرَعَةٌ

وشفاهُكَ عطشى
فانْهَلْ مني
أنا كأسٌ من خمر اللذة
تُسكّرُ شارِبها
ويسكّرُها رشْفُ الشفتين..
في جسدي
قطرُ المتعةِ
فارشفني
إسكّرْ وأسكّرني
افرط رمانةً صدري
تلمَسْ نحري
وانهلْ من شفتيَّ
ورويني..
نهرُ الأردنّ لا يروي
فاشربْ من نهري
تحييني..
مدّ يدك
تلمسني

اقطفُ ثمري..
في جسدي كلُّ الأسرارِ
نفسي الآن موجُّ هائجٍ
هل تصمدُ في عنفِ التيارِ!
جُبلتُ أعضائي
بالثلجِ وبالنارِ
والرغبةُ في نفسي
جُبلتُ بالعارِ.
هل آتيكِ مطهرةً بدموعي
أم آتيكِ مضمخةً بولوعي
قل لي
ما يرضيك، إن يرضيني
فأنا امرأةٌ من نارٍ
وأنت رجلٌ من ماء.
لكن ماءك
لا يطفئني..

(تشور وتحتد)

لا تنأى عني

وتقصيني
وترك قلبي يتقلب
ما بين الحب
وبين البغض ..
جئتُك بالرغبة
صُدَّتْ بالرفض
فحذارِ من عشق
خالطهُ سُمُّ البغض
قد يقتلك
ولا يحييني ..

(تندفع خارجة بسخط واضطراب)

(عتم)

مشهد 4

(على الشاشة حجرة سالومي، جالسة مكتئبة، تنظر باتجاه المدخل.. تفاجأ بدخول هيروديا)

أمي!

(تمه وتواجهها)

أيا يا أماه

رحماك ارحميني!

خففي الوطء على أوجاع قلبي

ودعيني

مُذْ نبذني

رحمك الدافئ إلى برد الحياة

من حليب الفتنة الرعناء

كنتِ ترضعيني.

استرجعي مني سني
ودعي لي لحظة
تزن العمر صفاء ورواء.
أو أعيدي
كل أحلام الطفولة
سُرقت مني
آه.. يا نفسي العليلة..
مُذ أردت أن أكون
وردة في منبت سوء
تحجبُ الأشواك رونقها
وتُسقيها الظنون
ثم ينعم بشذاها العابرون
غشيتُ عتمهُ أهوائك قلبي
ضاع في حقدك دري
بين شكي و يقيني
فدعيني..
أنت أمسكت
بأوهام الملوك الزائلة

فحذار، من غواياتِ الزمانِ القاتلة!

(تسمع فهقهات هيروديا الساخرة)

أمّاه..

من يضحك في لحظة غفلة

قد يبكي عليها طوال العمر..

لا تقولي العمر

عقد من ليالي الافتتان

يفرط العقد الزمان

ثم يُبقي خيطه المشدود

حول العنق مثل المشنقة

وأنا أعرف أني

قد عشقتُ الضوء يوماً

فلمست النار، لكن

أنت ترمين بعمرى

في لهيب المحرقة.

(تصمت لحظة ثم تكمل)

ما الذي تبغين مني!

ماذا قلتِ؟

أغوي هيرودس بالرقصِ

وأطلبُ.. فيلبي!

ليس في نفسي رغبةٌ

إلا أن يقبلني مَنْ صدَّ قلبي.

ما الذي تعنين

قولي..

ماذا قلتِ؟!

أُغوي هيرودسَ

ثم أطلبُ منه رأسَ المَعمدان!

(تضطرب)

لا..

لا تقولي إن لي ثأراً

وقد حان أوان الانتقام.

بلى.. قد عشقت المَعمدان

وتوهتُ بحبه

لكن..

لم تداعب فتنتي عيناه

لا.. ولا لهفة الأشواق قلبه
لم يلامس جلدهُ جلدي
ولا أغواه كنزُ الجسد
لم ألاق غير صدّه
صدني عنه صدودَ الزاهد..
لا تقولي، آه من جرح الصدودِ
آه مما يشعل الرفضُ
في صدر النساءِ
من هيبٍ وضرامٍ.

(تصاب بالذعر مما تقوله أمها)

ماذا قلتِ؟!
إن يوحنا سيقتل
إن لم يكن تحت حدّ السيفِ
في موتٍ معجّلٍ
فبلسع السوطِ في موتٍ مؤجّلٍ
وعذابٍ سيطولُ
ليهوّنَ الموتُ عنده
ويرى فيه رجاءً.

(تحدّق فيها بذعر)

ماذا؟!

أن أقابل بخيار الموت صدّه !

بعدما ذُقتُ في صدّه موتي.

أطلبُ الموتَ له

رحمةً مما يلاقي من عذاب

وليكن قتلُهُ إشفاقاً عليه

وشفاءً لي من العشق المعذبّ.

إيه يا أمي كفاني

أبعدي لسع نظراتك عني..

ودعيني..

للذي صرْتُ إليه!

(تتجاهل وجود أمها، وتحاور نفسها)

ملأت نفسي الهواجسُ

لا..

لن أدعه لهيرودسُ

ولأحقّاد الطغاة.

إن يكن في الموتِ إنقاذٌ وصونٌ لهواه

هل يصيرُ الموتُ وجهاً للحياة.
قد يكون الموتُ عتقاً
وانبعاثاً.

آن للروح الطليقة
أن تُحررَ
من إسارِ الجسدِ الداوي المعفّر
بالعذاب.

إيه يا قلبي تصبّر
آن للعاني الزهاب
عابراً تحت حدّ السيفِ
كي يلقي خلاصه
متسامٍ في رؤاه
بعدماً ضاقت عليه
كلُّ أوهام الحياة
جارت الدنيا، ولم ترحم أساه.

(تهب وقد اتخذت قرارها، وتخرج)

(عتم)

مشهد 5

(على الشاشة قاعة الاحتفال في القصر. سالومي تتخيل وجود هيرودس وهيروديا وبيلاطس وآخرين. تقف أمام هيرودس تخاطبه)

لا تحدّق بي هيرودسُ
لفراشك دفءٌ أُمّي
لارتعاشك حضن أُمّي
لبكائك كتف أُمّي
إنّها الأَصْلُ
وما الفرعُ إلى الأَصْلِ
سوى ظلٍّ يزولُ.

(تدفعه عنها وتراجع خطوات)
فانأى عني بلهائِكُ
وانتظرُ في حضن أُمّي

ما الذي سوف يقولُ
نجمُك الساقطُ في عتم الأفولِ.
واخنقُ الآهةَ بالحسرةِ
واحفظ الشهوةَ والنزوةَ
للدهرِ العبوسِ.
فدُبّال الوهجِ في عينيكِ
يُخبو وينوسُ
لم يصبني..

(تشير إلى أمها)

قد نبذني
رحمُ هيروديا
لأعدو في فيافي العمرِ
كالفرسِ الشَّموسِ.

(تتحول إليه)

لن تنالني..
إن ملكت الملكَ والسلطانَ دهرًا
قد تلامسُ جلدَ من تملك

لكنْ
سوفَ تقهرُكَ النفوسُ.

(تصمت لحظة ، ثم تعاود الحديث إلى هيرودس)

لك في عيدك مني
رقصةٌ يزهو بها
عمرُكَ الممتد في ظلال العرش
نحو القبر..
في ليلِ التمني..
إن تلبي..
طلباً
راعشاً فوق لساني
وبه جرحٌ بقلبي

(تبقى صامته للحظة، تستمع لما يقول)

ماذا قلتَ؟

هل قبلتَ!

فسألتَ!

(تندفع نحوه تحاوره)

أَتَلَبِّي حَقًّا مَا أَطْلُبُ
إِنْ تَنْطِقْ بِالطَّلَبِ الشَّفَتَانِ
تَعْطِينِي حَقًّا مَا أَرْغَبُ
إِنْ تَاهَتْ فِي جَسَدِي الْعَيْنَانُ
وَمَادَتْ بِكَ أَرْضُ الشَّهْوَةِ
إِنْ جُنَّتْ بِالرَّقْصِ الْقَدَمَانِ.

(تسمع لما يعرض عليها، فتتهز رأسها بالرفض)

لا.. لا أريد نصفَ مُلْكِكَ
أو مما تملك
أو يملك أنسٌ أو جانٌ.
لا تعجب
من هذا المطلب
هي ضربةُ سيفٍ واحدةٌ بيدِ السَّجَانِ
ثمَّ يَأْتِينِي عَلَى طَبَقِ الْفَضَّةِ
رَأْسُ الْمَعْمَدَانِ
كِي تَلْهَثُ شَهْوَتُكَ الْفَجَّةُ
حَوْلَ ثَنَائِي الْجَسَدِ الْغَضَّةِ..

(تحدق فيه)

أراكَ فزعتَ
أراكَ جزعتَ
قد أقسمتَ، فلا تحنثُ
ووعدتَ، فلا تنكثُ
طبقُ نَقَشَتْ فضَّته
الآلامُ، الأحلامُ، الأوهامُ، الآثامُ،
وأبقتُ هالةَ الحزنِ
لرأسِ المعمدانِ.
كنتَ تعرضُ نصفَ ملككَ
أيها المملوكُ لحميَ الشبقِ
أنا أزهدُ بالملكِ وأرفضُ
فأعطني..
رأسَ من طافَ بأحلامي
فعذَّبَ أرقى.
هل قبلتَ!
فأمرُ الجَلَّادِ والسَّجَّانِ
يا ملكَ الزمانِ
وتطهَّرُ بالدماءِ

سوف تشهد
رقصة الأثنى التي آبت إلى فتنها
كل النساء
أيها العبد لرقص الافتتان.

(تتحرك وكأنها تؤدي الرقصة التي تصفها)

قدم ولهى
تدق الأرض
حتى تستفيق
ثم يأخذها الدهول
لاشتباك الساق
بالساق
انجذاباً ونفور
بين صد واعتناق
وارتعاش النهدي
كالعصفور
في ربح الشهوي
إذ يحار الثوب

بالقدّ

التصاقاً وانعتاقُ

واشتعالِ العقدِ والزنا

حولَ الجيدِ والخصرِ

يومضِ دونَ نارٍ

فاتقِ لسعَ الشرا

أيها المفتونُ

واحذرِ الاحتراقِ

في التقاءِ القرطِ

بالخلخالِ

حتى

تبلغُ النشوّةُ

آفاقَ الخيالِ..

(تتوقف عن الرقص .. وتواجه هيرودس)

إنه زمنُ الأفولِ

فيضيّقُ

ملكك الواهي على التاجِ

وظل الصولجانُ
ما الذي يبقى
على هذا الخراب
غير وهمٍ وسراب
إذ تفيق
أيها اللاهي بأوهام الملوك
هائماً بين وجودٍ وفناء
حتى يخذلك البقاء
حين ينسأك الزمان
إلا إسم شائه
يبقى مقروناً برقصي
حول رأس المعمدان
آه..
من ثأر الزمان..

(تتحول عن هيرودس، وتدور في المكان)

من يحكم الآن مكاور
وله السطوة فيها

أهو سوطٌ في يدِ السَّجَّانِ
أم سيفٌ سيهوي
فوق عنقِ المعمدانِ
ثم يهوي فوقنا سيفُ القدرِ
حين تملي رنةُ الخلائِ
سطوتها على ملكِ الخدرِ

(تدير رأسها بنظرة احتقار، وتخرج)

(عتم)

مشهد 6

(مكان غامض في القصر . تجلس سالومي منتظرة، ثم تنهض
وتتحرك قلقة)

ذهبوا بقلوب مفزوعة
ليأوبوا برأسٍ مقطوعة
تركوا سالومي مفجوعة
ضائعة بين المرين
مُرٌّ يُقيه ويُفنيني
مُرٌّ يُفنيه ويبقيني
أم يأتي في موته موتي
كأنا روحٌ في جسدين..

(تعاود الجلوس، تحدث نفسها)

إن يُقتل
أتراني أقتلُ في قتله

كلّ رجال الأرض
وأحررُ نفسي
من عشقٍ يغشاه البُغضُ
آه، يا تعسي من نفسي
كيف يماهي سعدي بؤسي
في ذات القلب
أهي النقمةُ
وجهٌ للحبّ..

(تنهض وتتحرك بانفعال وقلق)

صخبٌ في القصر، لكنْ
كلُّ شيءٍ في طريق القبرِ ساكنُ
آه، لا أسمع إلاّ
شهقةَ السيفِ المثلّمِ
دونَ صوتٍ للألمِ
ثم يجتاحُ العدمُ
ارتعاشَ الجسدِ المطعونِ بالقهرِ
ورعشَ الجسدِ المفتونِ بالعهرِ
ويغشى كلَّ شيءٍ مستباحُ

فاصخبوا كي تهدأ الأشباح من حولي
ويُذِيب الصخبُ أُناتِ الجراحِ
ها هو السيفُ
تنهَّدَ واستراحَ
ليبوحَ الدُمُ بالسِرِّ الدفينِ..
لم يعد لسعُ الشياطينِ
يشتهي صوتَ الأنينِ
أُتِرى السجنَ تحرَّ
من عذاباتِ السجينِ
جسمُهُ الناحلُ يطفو
فوقَ عالمنا الحزينِ
راحلاً من ظلمةِ الشكِّ
إلى نورِ اليقينِ
السلاسلُ لن تقيد
لهفَ الروحِ إلى العلياءِ
كي ترتاحَ فيها..
وتستكين

(تصمت وهي تنهياً للخروج من المكان)

أسمع الليلة سرّاً
في لهاث الصمت
يوشك أن ييوح بين أمس
ضح فيه القصر بالحفل
وأوهام البقاء

(ثم تكمل)

وغد
سوف يجثو فوق ذكراها
ليبكي وينوح

(تندفع خارجة)

(عتم)

(قاعة الاحتفال في القصر، تدخل سالومي إلى القاعة، وهي
تتخللها غاصة بالمحتفلين)

هاتوا طعاماً لا يُشبع
اسكُبُوا خمرًا لا يُسكرُ
أشعلوا ناراً لا تحرقُ
من يملكُ سمعاً، لا يسمعُ
من يملكُ نظراً، لا يُبصرُ
من يملكُ نطقاً، لا ينطقُ
يرجو أن ينجيه الصمتُ
فالكلُّ في هذي الليلة، ظلٌّ للموت.

(تدير نظرها فيمن حولها)

قولوا جَنَّتْ سالومي
من منا في هذه الليلة

يملكُ عقلَهُ !
لم تصبُ ضربةُ الجِلادِ
صخبَ الاحتفالِ ..

(تمسك كأس شراب فارغ ، وتدور عليهم)

بيلاطسُ
يسحو خمرَ السلطنةِ
يذكرُ روما ، فيسكرُ بالمجدِ .
هيروُدسُ
يرشفُ خمرَ الشهوةِ
من أوهامِ العمرِ الممتدِّ
هيروديا
تشرّبُ خمرَ النشوةِ
من كأسِ النعمةِ
تسكرُ بالحقِّد ..

(تتوقف في الوسط)

وأنا ..
أشرقُ بدموعي

ما بينَ الصَّحوةِ والغفوةِ

يُضنِّني الفقدُ..

أَجْرَعُ كَأْسَ الدَّمِ المرَّ

وَأَسْكُرُ بِالوَجْدِ..

(تَقْذِفِ الكَأْسَ مِنْفَعَلَةً)

كُلُّ مَا لَمْ يَقُلْ..

قِيلَ

فَمَاذَا يَبْقَى بَعْدُ!

أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

كُلُّنَا فِيكَ سُكَارَى

وَحَدُّهُ الْحَيُّ الْقَتِيلُ

وَهُوَ يَنْهَلُ مِنْ دِمَاةِ

إِنِّي الْآنَ أَرَاهُ

وَحَدُّهُ الصَّاحِي

مُكَفَّنٌ بِرُؤَاهُ

طَائِفًا بَيْنَ الْحَيَارَى

فِي انْتِشَاءِ الْمَوْتِ

يَدْعُو لِلْحَيَاةِ.

(تجلس على الأرض حزينة)

جُرْحُهُ

إن صارَ زهرةً

تملاً الأفق أريج

أَسْكِنُوا هذا الضجيح

آن للصمتِ الرثاء..

يجهرُ الصمتُ بالحزن على الموتى

ويُضمِرُ في ثنايا الموتِ

تمجيدَ الحياة.

(فجأة تهب من جلستها، وهي تحرق أمامها، فيمن تتخيل أنه أحضر لها

رأس يوحنا المعمدان المقطوع.. تبحث مضطربة عن طبق الفضة، تأخذه

وتتقدم من حامل الرأس المقطوع).

أعطني

أعطني رأسه الدامي

على هذا الطبق

رأسه كُلُّ مرامي

له أفنيتُ النهار

حتى أيقظني الغسق..

يا ظلامَ الليلِ أسدل
سترَكَ الحالِكَ حولي
فوقَ جثمانِ هيامي
وانتقامي..

(تمد الطبق)

أعطنيه.

(تراجع إلى وسط المكان، وهي تحمل طبق الفضة، وعليه رأس يوحنا
المعمدان «المتخيل». تكلم نفسها، وتكلم الرأس المقطوع).

على طبق الفضة..
رقصتُ، ناحتُ، عاشتُ، ماتتُ
أشواقُ العاشقة الغضة
صدتني حياتك عنك
فقربك الموت..
أيها الطيفُ البهي..
مغمضُ العينينِ
لكن، في ثنايا جفنه المغلق
ومضُ من بروق

مطبق الشفتين
لكن في ثنايا فمه المطبق
قصفٌ من رعودٍ
ثم يهمني مطرُ السُّخَطِ
وطوفانُ الندمِ
أيها الزمن العصيَّ
ليست الدنيا وجودٌ
لا.. ولا الموتُ عدمٌ..

(تناجي الرأس فوق الطبق، وتلمسه)

أيها النحر المُدَمَّى
هل وجدتَ السيفَ
أشهى من رُضايي
إيه للموتِ الذي
حررَ من أهوى
وقيدني إليه
من تُرى يبكي عليَّ
بعد أن أبكي عليه
خفف الوطاء على قلبي المعنى

وترفقُ بعذابي
يا طيفاً مُرّاً على العينينِ
وأبقى ومضاً في الأحداقِ
يا ثمرّاً مُرّاً في الشفتينِ
وحلواً في الأعماقِ..

(تحديق فيه بولّه وَتَشَهّ)

الآن تمنحني الشفاء
قبلةَ عشقي..
شبعي.. رقي، عتقي،
قبلةَ رُشدي،
وجنوني، المشتهاة..
آه يا قبلةَ موتك، وحياتي
آه يا قبلةَ موتي، وحياتك
أأنا الحية..
أكلنا موتي
وأنتَ الحيُّ
أيها القَدْرُ العتيّ

(تتخيل أنها تقبله على فمه قبله حارة)

آه من بردِ الشفاهِ

آه من حرِّ الدماءِ..

(بعد القبلة، ترتد إلى وسط القاعة تدور حول نفسها بالطبق)

لن تعرفَ بعدَ اليومِ

شفاهي مذاقاً حلواً مُراً

إلا مذاقِ الدّمِ

لن تنظرَ بعدَ اليومِ

عيني لوناً أبهى أقتم

من لونِ الدّمِ

لن يلمسَ بعدَ اليومِ

جلدي، إلا جسداً

مخضوباً بالدّمِ

لن ينشقَ بعدَ اليومِ

أنفي عطراً أنفذ

من عبقِ الدّمِ

لن تسمعَ بعدَ اليومِ

أذني صوتاً أهدأ أصخب

من ندهة دم

تستصرخ في أسمع الكون الداهل

يا زمن الجرح النازف

يا زمن القلب الواجف

يا تاريخاً يرويه الدم

ويل للراوي والسامع

من هذا التاريخ الفاجع!

(تتوقف وتدير نظرها فيمن حولها)

لا تقولوا

هدئي الروع سالومي

فليس المعمدان

غير رؤيا

سوف يطويها الزمان!

كان رؤيا

إنما طافت على الآفاق

فانهدم الظلام..

(ترد نظرها عنهم إلى الرأس على الطبق)

كَانَ طَيْفًا

طَافَ فِي عَتَمٍ لَيْالِيٍّ

فَأَيَّقَظَنِي سَنَاهُ.

(تجلس والطبق وعليه الرأس في حضنها)

مَا كُنْتُ إِلَّا فَرَاشَةً مَقْرُورَةً

حَامَتُ عَلَى نَارِ الشِّفَاهُ

دُونَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَيْبُ..

وَتَصْدُنِي شِفَتَاهُ

بِالرَّفْضِ الْمَعَذِّبِ

ثُمَّ أَهْوِي

حَتَّى تُغْرِقَنِي الْغَوَايَةُ

دُونَهَا طَوْقَ نَجَاةٍ

أَهْ مِنْ وَهْمِي الْغَرِيبِ

مَا الَّذِي أَبْقَاهُ مِنِّي

مَوْتُهُ

غَيْرَ أَنِّي

الْآنَ أَدْرِكُ

أَنْ هَذَا الْمَوْتُ بَعَثٌ لِلْحَيَاةِ..

(تتنهد بحرقة)

إيه يا زمنَ الغوايةِ
ليتَ هذا الموتُ يغويني
فأمشي في خطاهُ.

(تميل رأسها منكسرة فوق الطبق، بجانب رأس المعمدان المتخيل،
وتسكن حركتها تماماً، كأنها ماتت معه، أو كأنها هي الميتة فوق الطبق.
تعتيم تدريجي، بما يوحي بأنها تلفظ أنفاسها مع تناهي الضوء)

(عتم)

مشهد 8

(على الشاشة جبل مكاور والآثار الباقية. المشهد عودة إلى
البداية، في غباش المغيب.
تنهض سالومي من بين الأنقاض كأنها تستفيق من حلم
طويل، تجول في المكان).

أين صارَ العرشُ
أين القصرُ والتاجُ
وأين الصولجان
إيه يا ملكَ الزمانِ
أغرقت كُلاًّ الدمى الصغرى
التي تلهو بها
قطراتٌ من دماءِ المعمدانِ

(ترفع عن الأرض تاج هيرودس وصولجانه تتأملهما)
لم يكن يدري هيرودس..

أن هذا المجد زائل
أن هذا الملك زائل
كنزه المنهوب إذ يُمسي تراب
ملكه المسلوب يوماً للزوال
عرشه المنصوب في ظل الخراب
سوف يطويه الخراب..
إيه من يوم الحساب
إيه من سوء المآل!

(ترمي التاج والصولجان أرضاً)
إيه يا ملك الضلال
هل ترى التاريخ
يُكتبُ بالدماء..

(تدير نظرها في بقايا القصر)
ما الذي يُبقي مكاور
شاخصاً بين الجبال
غير وهم وظلال
للمالك..

لم تعادل قطراتٍ من نجيعِ الأنبياء.

يا مكاورُ

لا تُكابرُ

آه ما أثقلَ وزركِ

آه ما أفجعَ إثمكُ

كيف حمّلكِ الزمانُ

ذكرياتٍ من دماءٍ

هي أبقى من قلاعٍ وحصونٍ وقصور

أثقلتِ ليلاتكِ السكرى

حكاياتُ الفجورِ

فحنيتِ الهامةِ الشماءَ

منكسراً بذلِّ الانكفاءِ..

كيف غيّبكِ الزمانُ

تاركاً منكِ على خلخالٍ سالومي

بقايا من دماءِ المعمدانِ..

وبقايا قصرِكَ المهجورِ

ترنو بذهولٍ، في النهارِ

صوبَ بحرٍ ميتٍ

قبره المائي
يخضن ذكرياتٍ وعبرٍ
من «سدوم» الهالكة
ثم تروي
في الليالي الحالكة
كيف جاء الانبياء
مثل ومضٍ خاطفٍ
مرّ على ليلِ الفجورِ
وانبثاقِ النورِ
من طهرِ دماءِ
الميتِ الحيِّ
الذي بَشَّرَ باندثارِ العتمِ والظلمِ
وميلادِ عصي للنهارِ.
(تصمت وتنكس رأسها ثم ترفعه)
ويمرُّ الليلُ
منحسراً
ليأتي بعده فجرٌ هجينٌ

وعلى غرته الطفلة
خياتُ السنين
لتخالطَ ظُلمةُ الشكِّ
على آفاقه
نورَ اليقينِ

(تتوقف ، ثم تصرخ صرخة زاعقة)
يا مكاور..

(يتردد صدى صرختها، ثم يذوب الصدى، مع تعميم تدريجي إلى عتم
دامس)

(نهاية)